

(١)

روح العمل الجماعي وضوابطه

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن الأمم لا تُبنى بالكلام ولا بالشعارات ، إنما تبنى بالعلم ، والعطاء ، والتضحية ، ومن أهم سبل بناء الأمم وتقدمها العمل الجاد المتقن ، حيث يقول الحق سبحانه: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله عز وجل) يُجِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُنْقَنَهُ) فالدين والوطنية معاً يتطلبان منا الجهد والعرق والعمل والإنتاج ، ولا سيما أن ديننا هو دين العمل والإتقان .

وإذا كان الفرد هو العنصر الأساس في بناء المجتمع فإن دوره الحقيقي في هذا البناء لا يكتمل ولا يتم إلا من خلال العمل مع بقية أفراد المجتمع ، حيث إن الإنسان بمفرده قد ينجز بعض الأعمال لكن إذا أُضيف فكره إلى فكر غيره ، وجهده إلى جهد غيره لا شك أن الإنجاز سيكون أكبر وأعظم وأنفع ؛ لذا فقد أعلى الإسلام من شأن العمل الجماعي وجعله من أهم عوامل وأسس بناء الدول والحضارات ، لما فيه من استثمار للطاقات ، وتوحيد للهمم ، وتعاون من أجل تحقيق الأهداف المشتركة التي تحمل الخير للناس جميعاً ، يقول سبحانه: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } .

(٢)

والمتدبر في الخطاب القرآني يرى أن الآيات التي تحت على بث روح العمل الجماعي ، والقيام بالمهام كفريق واحد كثيرة ومتعددة ، ومن ذلك قول الحق سبحانه في الأمر بعبادته: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ، وفي شأن الصلاة التي هي أعظم شعائر الدين ، يقول سبحانه { وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } بصيغة الجمع ، ويقول سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ، ويقول جل شأنه مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم) : { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا } ، ويقول سبحانه : { وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } ، وحذرنا سبحانه من الفرقة فقال : { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } .

ومما لا شك فيه أن القيام بالأعمال ، وأداء المهام بهذه الروح الجماعية يقوي أواصر المودة والمحبة والأخوة والتآلف بين أبناء المجتمع الواحد ، فيتحقق فيهم وصف الله تعالى : { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } ، ويصدق فيهم قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، وعندما أراد أحد الشيوخ أن يعلم أبناءه أهمية الوحدة وأنها سبب القوة ، وخطورة الفرقة وأنها سبب الشتات والضياع، جاء بحزمة من الحطب وقال : من يستطيع منكم أن يكسر هذه الحزمة بضربة واحدة أو بضربتين ، فحاول كل واحد منهم فلم يفلح ، ففكك حزمة الحطب ووزعها على أبنائه ، وأعطى كل واحد منهم عوداً فكسره بضربة واحدة ، فقال :

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً *** وإذا افتقرن تكسرت أفراداً

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم الكثير من الأمثلة الرائعة التي تُرغب في العمل الجماعي ، وتحتُّ عليه ، وتُوضح كيف كان أثره في تحقيق الأهداف العظيمة ، فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام حين أمره الله تعالى ببناء الكعبة المشرفة : ذَهَبَ إِلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ لَهُ: (إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ . قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا . فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ (عليه السلام) يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ ، وَإِبْرَاهِيمُ (عليه السلام) يَبْنِي، فَشَيْدًا مَعًا أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ، وَقَدْ خَلَدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } .

وفي سورة الكهف يحدثنا ربنا سبحانه عن أنموذج راقٍ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالتَّكَامُلِ والعمل بروحٍ جماعيةٍ في قِصَّةِ ذِي الْقُرْنَيْنِ ، وذلك عندما وصل هذا الملك العادل إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْرِفُهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَطَلَبُوا مُسَاعَدَتَهُ ، فَأَجَابَهُمْ لما طلبوا ، ولكنه ألزمهم أن يتعاونوا معه ، وأشركهم في العمل واستثمر طاقاتهم ، فكانوا جميعاً يداً واحدةً حتى تم هذا البناء الضخم ، الذي كان سببا في حمايتهم من أذى يأجوج ومأجوج، وفي ذلك يقول الحق سبحانه : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } .

(٤)

وهذا كليم الله موسى (عليه السلام) يسأل الله (عز وجل) أن يشد من أزره بأخيه هارون (عليه السلام) ليكون له سندا وعونا له في المهمة التي كلفه الله (عز وجل) بها، وفي ذلك يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا موسى (عليه السلام) : { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * واحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * واجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا } .

وكذلك المتدبر في السيرة النبوية العطرة يرى فيها صفحات مشرقة من التعاون والمشاركة والعمل الجماعي في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) مع أصحابه الكرام ، يقول سيّدنا عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : (إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ يُوَأَسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ) .

وكذلك كان (صلى الله عليه وسلم) يشاركهم العمل والبناء بنفسه ، ويحثهم على الاجتماع وعدم الفرقة ، ففي يوم الخندق يقول البراء بن عازب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : (اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا ، فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا ، وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا ، إِنْ الْأُلَى قَدْ بَعَوْا عَلَيْنَا ، وَإِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْبْنَا) .

وحينما أراد سيدنا سلمان الفارسي (رضي الله عنه) زراعة ثلاثمائة نخلة ليفتدي بها نفسه من الرق ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لِأَصْحَابِهِ: (أَعْيُوبُوا أَخَاكُمْ). قَالَ سَلْمَانُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ يَأْتِي بِثَلَاثِينَ فَيْسِلَةَ، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ يَأْتِي بِقَدْرٍ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِئَةَ فَيْسِلَةَ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنْ أَحْفَرَ لَهَا وَقَالَ: (فَإِذَا

(٥)

فَرَعْتَ فَأْتِنِي؛ أَكُونُ أَنَا أَضْعَهَا بِيَدِي). قَالَ: فَحَفَرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَعْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقْرَبُ لَهُ النَّخْلَ وَيَضَعُهُ (صلى الله عليه وسلم) بِيَدِهِ.

ولقد أثنى النبي (صلى الله عليه وسلم) على الأشعريين بأبلغ ثناء عندما كانت روح العمل الجماعي غالبية عليهم في تصرفاتهم وأفعالهم في أصعب المواقف، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .

* * *

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ :

إن العمل الجماعي الذي نسعى إليه هو العمل الذي يبني ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، هو الذي يقوم على أسس شرعية كالتكافل بين أبناء المجتمع بحيث لا يرى فيهم جائع ولا محتاج، أو على أسس تربوية وعلمية كتعاون العلماء في بحوثهم العلمية، والطلاب في منجزاتهم الدراسية والعملية، أو على أسس وطنية من أجل العمل على نهضة الوطن ورقبه في جميع المجالات.

وليس العمل القائم على الدعوات الهدامة التي تجتمع على القتل والتخريب وسفك الدماء، وتدمير الأوطان، ومحاولات إضعافها أو إسقاطها، تلك الدعوات القائمة على الكذب والافتراء، وتزييف الحقائق، لا تألو على دين أو وطن أو ضمير.

(٦)

إن العمل الجماعي الذي ننشده هو العمل البناء لصالح الدين والوطن والإنسانية، وهي متلازمات لا ينفك بعضها عن بعض ، فما أحوجنا إلى ترسيخ هذه الروح في نفوس أبنائنا وتحويلها إلى منهج حياة يعيشون به فينتشر الحب ويسود الوئام بين أبناء المجتمع الواحد ، ونرقى بأمتنا إلى المكانة التي تليق بها في كل المجالات ، على أننا نؤكد أن الشعب المصري حينما تسود روح العمل الجماعي بين أبنائه فإنه يحقق من الأعمال ما يراه غيره مستحيلًا ، والمشاهدة والتجربة والواقع قديما وحديثا خير شاهد ودليل على ذلك .

**فاللهم أمّنا في أوطاننا ، ووفق أئمتنا وولاة أمورنا ،
واحفظ بلادنا من كيد الكائدين وفساد المفسدين .**